ميول الاستعراض وحب الظهور والهستيريا

«الهستيريا» كلمة إغريقية قديمة كانت تطلق على مرض نفسى يحدث نتيجة صدمة عاطفية مفاجئة تؤثر على جسم الإنسان بصور مختلفة قد تؤدى إلى ضعف فى عضلات بعض الأطراف أو تؤدى إلى اضطراب فى أى جهاز من أجهزة الجسم كالجهاز الهضمى فتأتى فى صورة إحساس بالغثيان والقىء أو تؤدى إلى ضيق فى الصدر أو صعوبة التنفس أو تؤدى إلى الدوخة أو الإحساس بالهبوط المفاجئ وأحيانا الإغماءات.. الخ.

وكلمة «هستيريا» كانت مأخوذة من الكلمة الإغريقية (هيستراس) وتعنى الرحم وكان يتصور الإغريق أن سبب هذا المرض – وهو يأتى عند النساء بصورة أكثر من الرجال – وجود خللا ما فى رحم المرأة وأن هذا الرحم يتحرك داخل الجسم ونتيجة هذه الحركة تحدث الأعراض لهذا المرض. مرض الهستيريا يأتى فى بعض الأشخاص الذين يتصفون بشخصية هوائية استعراضية تميل إلى حب الظهور ولديها إحساس متضخم بالذات، دائما تحاول أن تكون محور اهتمام الآخرين، هذه الشخصية تسمى «الشخصية الهستيرية» وهى من الشخصيات التى يكون لديها الاستعداد الشديد لحدوث مرض الهستيريا.

و«الشخصية الهستيرية» هى شخصية سطحية، انفعاليـة، مظهريـة، تحاول دائما أن تضفى هالة من الاهتمام حـول نفسـها بسـلوكيات ملفتـة للنظـر ودائمـا تزهـو بنفسـها وتكـون معجبـة بشـكلها وبكيانـهـا، وهـى كالطاووس فيها شىء من التضخم فى ذاتها والتضخم فى مظهرها والمبالغة فى سلوكياتها وتعبير وجهها وانفعالاتـهـ، تسـعى دائمـا أن لفت انتبـاه وأنظار الآخرين فى اللبس والمظـهر وأسـلوب الحديـث والتعبـير العـاطفى وهى شخصية انفعاليـة، ولكنـها شـخصية، متقلبـة وتابعـة بمعنـى أنـها لا تتحمل مسئولية ولا يمكن الاعتماد عليها ولا تسـتطيع إتمـام واجبـات عملها بصورة فيها شىء من الكفاءة والإتقان إلا نادرا وهى شخصية أيضـا ذات عواطف سطحية ليس لديها عمق أو جذور أو أصول عاطفية قويـة، وهى شخصية متقلبـة المـزاج. ولا تتعـامل بحسـابات عقلانيـة منضبطـة، أما مرض الهسـتيريا فـهو حالـة مـن التعبـير الجسـدى والنفسـى لصدمـة عاطفية، والصدمة العاطفية يمكن أن تكون بسبب علاقة عاطفية أو بسبب حب أو بسبب غياب عزيز أو قريب أو بسبب إحباطـات أخـرى نتيجـة فشـل أو نتيجـة عـدم تحقيـق رغبـة أو نتيجـة حـزن مفـاجئ أو نتيجـة اعتراض فى طريق أى هدف يريـد أن يحققـه المريـض. مـرض الهسـتيريا أكثر شيوعا فى الفتيات فـى مقتبـل العمـر وسـن المراهقـة، وهـذا المـرض يأتى فى صورة تعبير جسدى عن الصدمة أو الإحباط أو الصراع فى صورة إما رعشة أو ضعف فى أحد الأطراف أو شلل فى أحد الأطـراف أو شـلل نصفى فى الجسم أو نوبات إغماء متكررة أو يأتى فـى صـورة نوبـات مـن القىء أو ضيق التنفس أو يـأتى فـى صـورة فقـدان الكـلام وفقـدان النطـق المفاجئ نتيجة الصدمة أو يأتى فى صورة فقدان السمع وفقـدان الإبصـار.

المهم فى هذه الأعراض الجسدية المختلفة أنـها لا تبنى على أى أساس عضوى بمعنى أن المريض يكون سليما من الناحية العضوية وإذا فحصنا أجهزته فلا نجد أى سبب عضوى يبرر حدوث هذا الفشل الوظيفى فى هذه الأجهزة، ففى فقدان النطق الهستيرى نجد أن الأحبال الصوتية سليمة والحنجرة سليمة. وفى فقدان النظر الهستيرى نجد أن المريض لا يوجد أى مرض فى عينه يبرر عدم القدرة على الإبصار، أما فى الشلل الهستيرى نجد أن أعصاب اليدين أو الرجلين سليمة على الرغم من أن المريض لا يستطيع أن يحرك أطرافه.. وهكذا.

إذن هو عطب وفشل وظيفى فى أجهزة وأعضاء الجسم دون وجود أساس عضوى لهذا الفشل الوظيفى، والسبب هنا كما أشرنا هو سبب نفسى نتيجة صراع أو إحباط أو نتيجة صدمة عاطفية.

علاج هذا المرض بسيط وميسور وسهل، علاج نفسى فى المقام الأول لتصحيح الدوافع والمسببات لحدوث المرض، هذا التصحيح يأتى من خلال التحليل النفسى ومن خلال دراسة شخصية المريض ومحاولة ترشيدها وإصلاح حالها ومحاولة تدريبها على التعامل مع الصراعات والإحباطات والصدمات بصورة أكثر عقلانية وبصورة سوية وصحيحة، يضاف إلى ذلك أيضا بعض المهدئات أو المطمئنات الخفيفة التى تساعد مع العلاج النفسى، وأهم من ذلك أيضا العلاج الاجتماعى والعائلى بإرشاد الأسرة والمخالطين للمريض بكيفية معاملة المريض وكيفية التعامل معه بالأسلوب السليم حتى لا تتكرر أعراض مرض الهستيريا مرة أخرى.

وبوجه عام، فإن مرض الهستيريا يعتبر من الأمراض السهلة البسيطة الميسور علاجها والتى ليس لها أية مضاعفات ولا تشكل أية خطورة على المريض على الرغم من أن ظاهر الأمر يقول إن هناك أعراضا خطيرة مثل الشلل أو فقدان لنطق أو فقدان الإبصار ولكن طالما أن هذه الأعضاء والأجهزة سليمة عضويا فلا خوف من أى شيء أو من أية مضاعفات

المرح والانطلاق والهوس العقلى

كلمة «الهوس العقلى»؛ تعنى حالة من المرض الذى تظهر أعراضه فى صورة زيادة فى النشاط الحركى عند المريض مع نوبات من الهياج والثورة وأحيانا يكون مزاج المريض فى حالة من الشعور بالفرح والنشوة والإحساس بالكبرياء والقوة وأيضا يكون المريض فى حالة مزاج مرتفع أكثر من الطبيعى، ويقل نومه وتزداد علاقاته الاجتماعية بصورة ملفتة للنظر ويصبح فى حالة من التشتت الذهنى نتيجة كثرة الأفكار وازدحامها فى رأسه ونتيجة كثرة المشاريع التى يخطط لها فى اتجاهات متعددة ونتيجة إحساسه بأنه قادر على أن يفعل الكثير والكثير فوق ما يمكن تصوره من طاقة البشر، فى نفس الوقت تأتى هذه الحالة مع بعض الشعور بأن المريض له قوة نفوذ وتأثير على الآخرين ويستطيع أن يحركهم كيفما يشاء والشعور بأنه أفضل منهم وأن لديه مزايا تفوق أى إنسان آخر، إحساس بالعظمة، إحساس بالكبرياء، أفكار زائدة وطائشة، ذاكرة قوية، ذهن حاضر متفتح متوهج ولكنه مشتت، وفى نفس الوقت تكون السلوكيات عشوائية غير محددة فيها الكثير من النشاط وأحيانا يثور المريض وتنتابه حالة من التوتر والقلق الشديد والهياج إذا اعترض طريقه أى شىء وأى إنسان آخر.

حالة «الهوس العقلى» أو مرض المرح العقلى الشديد تحدث أحيانا فى تناوب مع الحالة المعاكسة وهى حالة الاكتئاب العقلى - التى ذكرناها سابقًا - يأتى المرض فى صورة نوبات من الاكتئاب وتتوالى مع نوبات من المرح المرضى، وهنا تسمى الحالة حالة ثنائية القطب أى أنها تأتى بصورة معاكسة متناوبة فى حلقات أو فى نوبات، أحيانا تأتى حالة المرض العقلى أحادية القطب بمعنى أن تكون النوبات من نفس النوع المتكرر أى مرح وهوس عقلى فقط وما بين هذه النوبات يكون المريض فى حالة شفاء تام واختفاء كامل للأعراض، نذكر أن أكثر الناس استعدادا لهذا المرض هم الذين يتمتعون ببعض الصفات الشخصية التى تسمى الشخصية المرحة وهى الشخصية المتفائلة والمستبشرة، النشطة، والتى تتطلع دائما إلى كل شىء جميل وهى الشخصية التى تتعامل مع الأشياء بمنطق الهزل ومنطق التحكم وهى شخصية لها أحاسيس معنوية مفرحة ومبهجة وتشع جوا من الفرحة وجو من الفكاهة والدعابة إلى كل من يتعامل معها وإلى كل من يعيش من حولها. هى شخصية طبيعية عادية وليست لديها أعراض تشير إلى حالة المرض وهذه الصفات لا تتعدى الصفات الطبيعية ولا تعوق مسيرة الإنسان فى حياته أو تؤثر على علاقاته الاجتماعية أو قدرته على الإنتاج فى موقع عمله، إنما هذه الشخصية هى أكثر أنواع الشخصيات البشرية استعدادا لحدوث مرض الهوس العقلى إذا كانت هناك أسباب نفسية قوية كالصراعات المختلفة أو الإحباطات أو الصدمات الحياتية التى قد تفجر وتظهر حالة المرض بصورة الهوس العقلى، أما عن علاج حالة الهوس العقلى فالأمر يحتاج إلى العقاقير المطمئنة والمهدئة القوية ولفترة زمنية

تمتد لعدة أشهر وأيضا هناك بعض العقاقير الخاصة المضادة لهذه الحالة مثل عقاقير تحتوى على أملاح عنصر (اللثيوم) فى نفس الوقت قد يحتاج الأمر إلى بعض الصدمات الكهربائية فى حالة حدوث الهياج العصبى والتوتر الشديد وقد نحتاج إلى بعض الأدوية التى تساعد على النوم الهادئ وأيضا جلسات العلاج النفسية التحليلية كمساعد فى عامل العلاج.

تحدث حالة مرض جنون الهوس والاكتئاب العقلى فى نوبات تتوالى فى فترات زمنية قصيرة أو متباعدة وتحتاج إلى استمرار فى المتابعة العلاجية فى فترات قد تمتد إلى عدة سنوات حتى يتم العلاج الذى لا يقتصر مدته الزمنية على فترة أثناء النوبة أو أثناء ظهور الأعراض فقط سواء كانت فى نوبة الاكتئاب أو فى نوبة الهوس والمرح، وإنما هناك متابعة علاجية فى الفترة الزمنية ما بين النوبات والتى تختفى فيها الأعراض تماما ويعود المريض فيها إلى حالة السواء والشفاء التام، الأدوية التى قد تحتاج إليها فى هذه الفترة ما بين النوبات تسمى بالأدوية التى تحافظ على اعتدال الحالة المزاجية وثباتها واستقرارها وتحافظ على وجود نمط دائم هادئ مستقر فى الحالة الوجدانية العاطفية عند المريض، السبب فى ذلك هو أن اعتدال المزاج واستقراره ما بين النوبات يمنع حدوث النوبة المستقبلية القادمة أو على الأقل يقلل من شدتها إذا حدثت وأيضا قد يباعد بين حدوث النوبة والأخرى أى أن النوبة تأتى بعد فترات طويلة بدلا من أن تأتى فى صورة سريعة ومتلاحقة، هذه العقاقير التى تحافظ على استقرار المزاج واعتداله هى بمثابة العامل

الوقائى لحدوث المرض، ولذلك نقول: إن الإصابة بهذا المرض هى إصابة بسبب الحالة البيولوجية والتغيرات الكيميائية فى الجهاز العصبى وتأثير بعض نسب الموصلات العصبية فى المخ وتأثيرها على المستقبلات العصبية فى خلايا المخ ولذلك فإن أساس علاج هذه الحالة التى يرجع سببها أيضا إلى العوامل الوراثية هو العلاج الكيميائى بالعقاقير المختلفة التأثير.

الشر والعدوان واضطراب الشخصية

كلمة اعتلال الشخصية أو اضطراب الشخصية تعنى وجود خلل فى مكونات هذه الشخصية وهذا الخلل ينعكس على علاقة الإنسان بالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها، وأمراض اضطرابات الشخصية هى أمراض سلوكية فى المقام الأول بمعنى أن مظاهرها الأساسية والعامة الشاملة هى مظاهر الشذوذ فى التصرفات، السلوك غير الطبيعى، ردود الأفعال المرضية، والملفتة للنظر، انحرافات شخصية فى تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان وكل هذا ينتج عن اضطراب داخلى فى مكونات شخصية الفرد من حيث تفكيره غير الطبيعى، انفعالاته الوجدانية الزائدة أو القليلة عن الحد المطلوب، إرادته التى تكون مختفية ولا يتحكم فيها ولا يستطيع أن يرشدها ويجعل هناك نوع من السيطرة الإرادية على تحركاته وعلاقاته وسلوكياته وأيضا قد يكون هناك خلل فى مكوناته الشخصية الأخرى مثل التركيز، والذاكرة والذكاء، والوعى، والإدراك، والتمييز والاستبصار بموقفه من حياته الخاصة وحالته، والتعرف الذاتى الداخلى على نفسه، وعلى قدراته، وعلى طموحاته، وعلى أهدافه، وكذلك على دوره فى المجتمع وفى الحياة بصفة عامة.

إن اضطرابات الشخصية مختلفة ومتنوعة ويندرج تحتها الكثير من سوء السلوك وشذوذ الأفعال منها اضطرابات الشخصية الانحرافية والمضادة للمجتمع والشخصية العدوانية والشخصية السيكوباتية المعتلة، وكل هذه التسميات مترادفات وتعنى شيئا واحدًا أن هناك عدوانا وتدميرا وشذوذا وجرائم كل أنماط الأفعال اللا أخلاقية المضادة للمجتمع والمدمرة لكل شيء. الشخصية المعتلة أو الإجرامية أو العدوانية، يحكمها مبدأ اللذة، تسعى دائما إلى أن تحصل على اللذة، حتى ولو كانت هذه اللذة من خلال الشر والأذى للغير وحتى لو كانت هذه اللذة تؤدى إلى عمل إجرامى يعاقب عليه القانون، وحتى لو كانت هذه اللذة على حساب حياة الآخرين أو حالتهم الأمنية، هنا نتكلم عن الأنانية، هذه الشخصية شخصية أنانية لا يعنيها سوى المكسب الذاتى، واللذة الفردية، وهى شخصية غير ناضجة وغير واعية بأمور الحياة بشكل واضح، وشخصية يعوزها وجود الضمير اليقظ فهى بلا ضمير وبلا إحساس وتتصف بالتبلد واللامبالاة، وهى شخصية لا تستفيد أخلاقا من تجارب الآخرين السابقة، وهى أيضا شخصية لا تستطيع أن تقدر العواقب المستقبلية التى تترتب على فعلها الشاذ اللا أخلاقى والإجرامى، هى شخصية تتركز حول ذاتها وكل ما يعنيها هو اللذة الفورية الآنية ويحكمها مبدأ (أنا وبعدى الطوفان) هى أيضًا شخصية تقوم بأفعال الإجرام من سرقة ونصب واحتيال وقتل واغتصاب وأفعال الشذوذ الجنسى وأفعال الإدمان بكافة أنواعه إلى آخر كل هذه الأنواع والسلوكيات الإجرامية.

هذه الشخصية شخصية مريضة تحتاج إلى العلاج قبل أن تحتاج إلى العقاب ولكن لابد وأن يكون هناك عامل الردع وعامل العقاب كنوع من أنواع التأديب والتهذيب، ولابد من أن تكون هناك قوة باطشة تستطيع أن تسيطر على هذه الشخصية وتوقفها عند حدها وتمنعها من ممارسة هذا الشذوذ السلوكى الإجرامى.

العلاج هنا، يكون ملازما للعقاب وهو علاج سلوكى بالتأديب والتهذيب وبالتأهيل وبالقطع كل ذلك يحتاج إلى العزل سواء كان العزل فى السجن مع تنفيذ مدة العقاب أو العزل فى المستشفى التى يودع فيها المريض أيضا وهو فى حالة تنفيذ لمدة العقاب الذى يستحقه، هناك أنماط أخرى لاضطرابات الشخصية ولكن هذه الأنماط لا تشكل خطورة ولا يعتبر صاحبها مجرما ولا يقع تحت طائلة القانون والعقاب، كأنماط الشخصية الوسواسية والشخصية الاكتئابية أو الشخصية المرحة أو الشخصية الهستيرية الاستعراضية، الشخصية غير الناجحة والشخصية التابعة والشخصية غير الكفء والشخصية التى تعتمد على الغير، أنماط متعددة ووصف كثير لكل أشكال الشخصيات التى تعتبر مهزوزة، ويعتبر لها سلبيات وتعتبر فى حالة من عدم الاستقرار وتستحق المساعدة العلاجية وتستحق الإرشاد والتوعية والتدريب.

لكن – حقيقة الأمر – أن كل هذه الشخصيات البعيدة عن الشخصية الإجرامية العدوانية هى شخصيات وأنماط سوية موجودة فى سائر البشر، وطالما أن هذه السلبيات فى هذه الشخصيات لا تصل إلى مستوى

الأعراض المرضية ولا تعترض طريق الإنسان فى حياته العادية ولا تؤثر على علاقته بالناس بصورة فيها إعاقة وفشل فى التعامل مع الآخرين، وأيضا لا تؤثر على عمله وإنتاجه وتحركاته وكفاءته فى الحياة بصورة عامة، فهى أنماط سوية وأن كل ما تحتاجه هذه الشخصيات هو الإرشاد والنصيحة والتدريب والمتابعة ولكن لا تحتاج إلى علاج نفسى بمعنى كلمة علاج.

انهزام وتصدع الشخصية والفصام العقلى

كلمة الفصام العقلى تعنى أن هناك تفسخا وتفتتا بين مكونات النفس البشرية وبين مكونات وعناصر الشخصية الإنسانية وكما ذكرنا سابقا أن الإنسان يتكون من جسم ونفس وروح وأن الجسم له أجهزة وأعضاء وأنسجة وخلايا والنفس أيضا لها أجهزة تتمثل فى الوظائف النفسية المختلفة التى تنتج من نشاط المخ والجهاز العصبى، هذه المكونات للكائن البشرى يمكن أن تتعاون وتتلاءم وتتواكب مع بعضها ويظهر فيها صورة الإنسان فى أبدع صورة كما خلقه الله فأحسن خلقه - سبحانه وتعالى -.

الإنسان هو خليفة الله على الأرض فيه جوانب الخير وجوانب الشر، يستطيع أن يميز بعقله ويدفع الشر بعيدا عنه ويسير فى طريق الخير وهو إنسان مخير لا مسير مخير بإرادة ووعى ومخير بعقل فيه قدرة على التمييز وله وظيفة التكليف نحو كل ما هو بناء ونحو كل ما هو نافع ومفيد فى الحياة.

إذا تكلمنا عن تفسخ وتفكك مكونات النفس، فإن مكونات النفس من الناحية الوظيفية أو عناصر الشخصية الإنسانية هى التفكير والعاطفة والوجدان والسلوك الذى يتحرك طبقا للتفكير وللحالة الوجدانية ثم ادة التى تسيطر على هذه التحركات وتتحكم فيها ثم الإدراك بأدوات الخمسة، العين، الأذن، وحاسة الشم بالأنف، وحاسة التذوق

باللسان، حاسة اللمس على الجلد، هذا هو الذى يسمى بالإدراك الحسى الذى عن طريقه يستقبل الإنسان الإشارات والمؤثرات البيئية المحيطة به ويترجمها فى مخه وفى عقله ويتصرف تباعا حسب هذه الإشارات كنوع من أنواع رد الفعل، هناك أيضا مكونات للشخصية ومكونات للنفس البشرية مثل الذاكرة والانتباه والوعى بالمكان والزمان والأشخاص والبصيرة، بصيرة الإنسان بحالته وبموقفه من الحياة وبصفة عامة المعلومات العامة والذكاء والثقافة والإدراك العام لكل أمور الحياة.

إذا حدث تفسخ وتفكك بين مكونات هذه الشخصية وعناصر الشخصية فيصاب الإنسان بحالة من المرض العقلى تسمى انفصام العقل.

لابد وأن يكون هناك توازن وتلاؤم «وهارمونية» بين وظائف النفس ومكونات الشخصية أما إذا كانت كل هذه العناصر تعمل فى اتجاهات متنافرة ومتناقضة وبعيدة عن بعضها البعض فتكون الصورة صورة فيها الكثير من التفكك والتشتت والانهيار ويبدو مريض الفصام العقلى كما نرى أو كما نسمع بشكل عشوائى ارتجالى يتكلم فى موضوع ويعبر بحركاته فى موضوع آخر وتعبيره الانفعالى والوجدانى فى اتجاه ثالث وإرادته متوقفة أو غير موجودة فهو ينقاد لأى شىء وذاكرته غير حاضرة وإدراكه بالأشياء يتيح بعض الأوهام وبعض المؤثرات التى لا وجود لها فيصاب بحالة هلوسة كأن يسمع أو يرى أشياء لا وجود لها ويستجيب لهذا ببعض الحركات الطائشة غير المفهومة.. إلى آخر هذا. إذن نقول إن الفصام العقلى هو حالة مرضية شرسة وشديدة تصيب الإنسان فى

بعض مراحل من العمر هى مرحلة الشباب ومنتصف العمر ولها دواعيها وأساسياتها الوراثية وأيضا أسبابها البيولوجية المرتبطة بكيمياء المخ والموصلات العصبية وهذه الحالة تؤثر على كيان الإنسان فتهدمه وتحطمه وتشتت كل مقومات وأساسيات بناء نفسه وبناء شخصيته كأن الشخصية تتعضم أى تنفسخ وتتفكك من بعضها البعض، وهنا لا يحدث التوازن والتلاؤم الداخلى والاتزان الداخلى الذى ذكرناه فى باب سابق - وبما أن التوازن والتلاؤم الداخلى قد انهار إذن فإن علاقة هذا الإنسان المريض بالمجتمع من حوله تكون مفقودة ومنهارة ولا يوجد أى تواصل بينه وبين الواقع الذى يعيش فيه وبين الناس الذين يعيش معهم وإذا كان الاتزان الداخلى مفقود فهذا يؤثر على الاتزان الخارجى بين المريض وبين البيئة المحيطة به.

الفصام العقلى من أشد الأمراض وأقساها التى يمكن أن تصيب الكائن البشرى على الإطلاق وتحدث تصدعا فى الشخصية - كما ذكرنا - ويصبح الإنسان مهزوما ومغلوبا على أمره وللأسف إن هذا المرض يسير بشكل مزمن يمتد لسنوات من عمر المريض ويحتاج إلى خطة علاجية شاملة ومتنوعة وهذا المرض له أنماط وأنواع مختلفة فمنه الفصام البسيط، والفصام الخامل والفصام التصلبى أو التخشبى، وأيضا الفصام البارانوى - أحيانا يسمى انفصام البارانويا - وأن هناك أنواعا وأنماطا أخرى لهذا المرض قد تصل إلى أكثر من عشرة أنماط أخرى غير تقليدية وغير ثابتة فى أشكالها، وإذا تحدثنا عن هذا المرض بصورته الشاملة فقد يحتاج المريض إلى استقرار للحالة المرضية لأن نسبة الشفاء التام فيه

لا تزيد عن ثلث الحالات أى لا تزيد عن حوالى ٣٠٪ من الحالات. أما بقية الحالات فالشفاء فيها يكون نسبيا وليس مطلقا حيث تستقر حوالى ٣٠٪ من الحالات استقرارا فيه ثبات للأعراض وفيه نوع من أنواع التكيف مع البيئة ومع المجتمع بصورة أقل من المستوى الطبيعى، ويعيش الإنسان فى حالة هدوء ومتابعة علاجية لسنوات طويلة وهو فى حالة استقرار، هذا يحدث فى نسبة حوالى ٣٠٪ أيضا أما الثلث الثالث أو ٣٠٪ أو ٤٠٪ من الحالات فإنها تسير فى خط متدهور مستمر ولا يحدث فيها شفاء ولا استقرار فى الحالة. وإنما يصل المريض فى مستويات الحياة إلى أدنى مستوى، ويفقد القدرة على التكيف تماما ويحتاج إلى العزل فى المستشفيات العقلية بصورة قد تمتد مع عمره إلى ما لا نهاية.

الفصام العقلى – كما قلت – متعدد الأسباب، أسباب بيئية وأسباب وراثية وأسباب تطورية ترجع إلى ظروف التنشئة والبيئة وأسباب بيولوجية ترجع إلى التغيرات الكيميائية فى الجسم والمخ والجهاز العصبى وأيضا أسباب مرتبطة بالصدمات والصراعات والإحباطات فى الحياة وكل هذه الأسباب المتعددة تتفاعل مع بعضها وتظهر الحالة المرضية عندما يكون الإنسان لديه الاستعداد الكائن لحدوث المرض. وبما أن الأسباب متعددة فإن طرق العلاج مختلفة ومتعددة، العلاج هنا يأتى فى المقام الأول بالعقاقير المطمئنة والمهدئة والمقومة بأشكالها المختلفة ودرجاتها وقوة تأثيرها ومفعولها الكيميائى وجرعاتها المختلفة أيضا ولفترة طويلة قد تمتد إلى شهور وسنوات أحيانا. إلى جانب بعض

الجلسات الكهربائية التى قد تحتاج إليها ما بين وقت وآخر إلى جانب العلاج بالتحليل النفسى والجلسات النفسية والعلاج بالتأهيل والتدريب والعلاج الاجتماعى بتصحيح الأوضاع الاجتماعية وسبل أخرى من سبل العلاج التى تساعد المريض على أن يكون أقرب ما يكون إلى حياة صحيحة فيها شىء من الاعتماد على النفس والتكيف وكسب لقمة العيش بأية درجة من الدرجات.

الفصام العقلى قد يكون أعراضه المنتشرة مستترة وقد لا يلتفت الناس إلى ظهور المرض فى أى شخص إلا بعد مرور سنة أو أكثر على حالته المرضية، ولذلك يجب الانتباه إلى التغير فى سلوكيات الشخص أو التغير البسيط فى أسلوب تفكيره أو أسلوب حله للمشاكل أو التغير فى تعبيره الوجدانى والعاطفى. الاكتشاف المبكر لهذه الحالات هام جدًا، لأن الاكتشاف المبكر معناه العلاج المبكر، معناه النتائج الأفضل والأحسن من حيث الوصول إلى بر الأمان والشفاء.

كيف يحدث المرض النفسى ؟. وما هى أسبابه؟.

المرض النفسى أو العقلى لا يتحدد بسبب واحد إنما يحدث نتيجة الكثير والكثير من العوامل التى تسمى العوامل المهيئة للمرض وأيضا الأسباب التى تسمى الأسباب المرسبة للمرض، فيرجع تاريخ المرض إلى الطفولة المبكرة وأيضا قد يرجع إلى ما قبل ذلك إلى حياة الجنين داخل رحم أمه، وتأثر الجنين بانفعالات وتغذية وصحة الأم وباضطرابات الأم النفسية، ثم يولد الجنين وتؤثر فيه عوامل التربية والتنشئة وعوامل البيئة التى يتعامل فيها مع أسرته إلى جانب أيضا العوامل الوراثية التى ولد بها هذا الطفل، ويكبر الطفل وتؤثر فيه عوامل وظروف المجتمع من دخول المدرسة والحضانة إلى التعامل مع الجيران والأهل إلى معركة الحياة فى مآسيها وهمومها وإلى علاقته بوالديه وعلاقته بأقاربه وعلاقته بالمدرسين فى المدرسة ثم يكبر إلى أن يصل إلى سن المراهقة ويأتى فوران وعصف المراهقة والظروف التى تمر به أثناء هذا السن وفهمه عن نفسه وتحديد هويته وشخصيته وأيضا ضغوط البيئة وضغوط الحياة وهكذا تتوالى وتتعاقب المؤثرات والظروف المهيئة للمرض النفسى أو العقلى على الإنسان ويمكن القول فى هذا المقام أن كل إنسان يكون عرضة للعديد من العوامل التى تجعله فى حالة تهيؤ لحدوث المرض النفسى أو العقلى وهذا شىء طبيعى يمكن استنتاجه، ولكن حقيقة الأمر أن هذه العوامل المهيئة

التى تؤثر على كل البشر ليس بالضرورة أن تكون هى وحدها التى تحدث المرض، وليس بالضرورة أن تؤدى بصاحبها إلى مرض نفسى أو عقلى لأنه إذا صح هذا الغرض فإن كل البشر سوف يكونون فى حالة مرضية نفسية أو عقلية، ولكن ما يحدث فى واقع الأمر أن العوامل المرسبة قد تظهر المرض عند الإنسان الذى هو فى حالة تهيؤ للمرض من الأساس بمعنى أن - تفاعل العوامل المرسبة مع العوامل المهيأة هو الذى يظهر المرض لمن لديه استعداد كَافٍ لهذا المرض.

ما هى العوامل المرسبة ؟ . .

العوامل المرسبة هى الأسباب المباشرة التى تحدث للإنسان قبل حدوث المرض وقبل بداية المرض مباشرة مثل الإحباطات والصراعات والصدمات الحياتية وعوامل الحرمان سواء كان هذا الحرمان ماديا أو معنويا، ومعنويًا هنا تعنى فقدان عزيز غال أو فقدان الحب أو صدمة عاطفية، والحرمان المادى هو الخسارة المادية بضياع أى شىء عزيز وغال على الإنسان كخسارة مالية - على سبيل المثال - . أما الصراعات التى يعانى منها الإنسان فى كل تحركات حياته وعندما يكون فى حالة اختيار بين شيئين ثم يكون فى حيرة فى المقارنة بينهم أو فى ترك شىء لحساب شىء آخر وكلما كان الإنسان فى موقع اختيار فهو فى حالة صراع وأحيانا يفشل فى حل الصراع وتسبب لديه العقد النفسية التى قد تكون سببا مباشرا لحدوث المرض. وهناك الإحباطات كأسباب مرسبة لحدوث المرض، والإحباط يعنى أن الإنسان يتوقع أن يحقق هدفا

أو يصل إلى شيء ما ثم لا يستطيع أن ينالـه ولا يستطيع الحصول عليه أو تحقيقه وهنا يكون الإحساس بالإحباط أو خيبة الأمل.

كل هذه الأشياء من صراعات وإحباطات وحرمان تسمى العوامل المرسبة التى يمكن أن تؤثر فى إنسان عندما يكون هذا الإنسان مهيئا لحدوث المرض نتيجة المؤثرات التطورية المختلفة منذ مراحل طفولته المبكرة. يمكن القول هنا أن العوامل المرسبة المباشرة للمرض النفسى هى بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير وهى تبدو فى ظاهرها أنها هى السبب الأساسى والوحيد لحدوث المرض ولكن ليست هى السبب الأساسى وإنما تفاعلها مع الاستعداد الكائن داخل الإنسان نتيجة للعوامل المهيأة السابقة هو الذى يحدث المرض.

ومن هنا نقول أن هناك صعوبة فى تحديد أسباب المرض النفسى أو العقلى والأمر يحتاج إلى تحليل مستمر وإلى تاريخ دقيق لحالة المريض وتطوره منذ فترة طويلة وأن يتعامل الطبيب مع المريض بصورة فيها نوع من الدراسة الشاملة لتاريخ حياته لوضع تصور عن الأسباب المتعددة التى أدت به إلى حدوث المرض حتى يمكن ترتيب خطة العلاج على هذا الأساس.

لا ننسى أن هناك أسباب عضوية تحدث المرض النفسى وأن علاقة الحالة العضوية الجسمية بالحالة النفسية علاقة متبادلة ثنائية وقوية – وكما ذكرنا فى باب سابق – أن علاج كل من الحالتين يجب أن يكون متزامنا وفى نفس الوقت وبنفس الأهمية.